طرافة التخييل بحسن التعليل في الشعر الاندلسي
دراسة تحليلية

أ.د.حميدة البلداوي*

خلاصة البحث:-
حسن التعليل فن بديعي معنوي اتجه اليه شعراء الاندلس في مقطعاتهم الشعرية لباعث نفسي , ولتحقيق غاية فنية . اما الباعث فيرتبط بطبيعة البيئة وتكوين الشخصية الاندلسية من اقبال على الحياة وتفاعل مع معطياتها الجميلة , ولقد كانت (الطرافة) سمة فيهم حتى قيل انهم بغداديون في ظرفهم , واما الفنية فقد حقق لهم هذا اللون اظهار مقدرتهم الفكرية في البحث عن العلل, وتنشيط مخيلتهم في عقد المعادلات التشبيهية في التفسير وايجاد المسوغات للافكار والمعاني بمبالغة حينا, وبالاخص في غرض المديح , وطرافة في احيان كثيرة كما في الغزل والاخوانيات , وذلك في لغة ميسورة واساليب متنوعة : من استفهام وتوكيد وتحاور, وقد استعانوا في تحقيق الصورة الشعرية بالتشبيه التمثيلي والاستعارة التشخيصية , واما التضاد الذي توزع على جانبي البيت الشعري فقد المح الى الجانب الانساني بما فيه من صراع بين الواقع والمتأمل .
وكأن هذا الفن كان معبرا في الاغلب عن رغبة بزخرفة شعرية , وترف فكري يتناسب مع زخرفة الحياة الاندلسية , وربما كان متنفسا في بعض حالاته عن طموح لايحققه له مجتمعه , على انه في الحالين كان يهدف الى منح الملتقي , الدهشة والانبساط واللذة بما يستنبطه من معنى غريب او تخييل بديع .

توطئة:-(حده وبواعثه)
حسن التعليل فن من فنون البديع المعنوية , يعرف عند اهل البلاغة بأن (يكون للمعنى من المعاني, او الفعل من الافعال علة مشهورة من طريق العادات والطباع , ثم يجيء الشاعر فيمنع ان يكون لتلك المعروفة ويضع له علة اخرى)(١)
واشترطوا فيه ان تكون تلك العلة (مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي)(٢) . والنهج الغالب في توظيف هذا الفن يكون بعرض المعنى في البيت الاول , ثم تعليل حدوثه في البيت اللاحق بايجاز ماهر يشير الى حيوية ونشاط مخيلة الشاعر , ومن اشهر شواهده في تراثنا العربي قول المتنبي مادحا في المخاطب صفة الكرم بعلة غير معهودة :

- **ما به قتل اعاديه ولكن يتقي اخلاف ماترجو الذئاب(٣)**

ولقد وجد البحث حضور هذا الفن في الشعر الاندلسي على امتداد عصوره الادبية , والمسوغ لذلك هو :
انه لما كان (حسن التعليل) مرتبطا بظاهرتين هما (التجميل) و (الطرافة) فهو بذلك مناسب لواقع هذا الادب لما عرف عن اهل الاندلس من ميلهم للمظاهر الحضارية الجميلة من تأنق ورفاهية عيش , وزخرفة عمران مع حب للحياه وذائقة فنية عالية , فليس غريبا اذن ان ياتي ولعهم بالتحسين والتجميل في الشعر ايضا , وما حسن التعليل الا نافذة مشرعة من جملة نوافذ التعبير الفني .
واما (الطرافة) والميل الى الظرف , فقد وصف اهل هذه البلاد بانهم (بغداديون في ظرفهم ...... ولطافة اذهانهم وحدة افكارهم)(٤) . وفي هذه اللطافة يقول احد شعرائهم بتعليل حسن :

الايا اهل اندلس فطنتم بلطفكم الى امر عجيب
لبستم في ماتمكم بياضا فجئتم منه في زي غريب
صدقتم فالبياض لباس حزن ولاحزن اشد من المشيب(٥)

* قسم اللغة العربية/ كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد.

ولهذا الفن صلة وثيقة بقوة التخييل لدى الشعراء . يقول الدكتور (سعد اسماعيل شلبي) بأنه (قل ان نجد شاعرا اندلسيا لم يستعمل هذا اللون البديعي , وكثيرا ماتكون العلة المأتى بها غير ممكنة وهذا دليل قوة تصورهم , وبارع تخيلهم)(٦) تلك البراعة التي تثير في المخاطب التعجب والاستغراب الذي يكون (باستدعاء مايثيره الشاعر من لطائف الكلام التي يقل التهدي الى مثلها , فورودها مستندر مستطرف لذلك : كالتهدي الى مايقل التهدي اليه من سبب للشيء تخفى سببيته , او غاية له , او شاهد عليه او شبيه له .. وغير ذلك من الوجوه التي من شان النفس ان تستغربها)(٧)

ولسوف تولي الدراسة جهدها في البحث عن الوسائل والادوات التي اعتمدها الشعراء في تناول هذا المحسن البديعي , والكشف عن فاعليته في الجوانب الفنية من لغة واساليب وصور, مستقصين شواهده من كتب المجاميع والمختارات الاندلسية , على امتداد العصور الادبية , كالتشبيهات لابن الكتاني (ت حوالي ٤٢١ هـ) والذخيرة لابن بسام (ت ٥٤٢ هـ) والاحاطة لابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ) ونفح الطيب للمقري (ت ١٠٤١هـ)

(المبحث الاول)

وسائل التعليل

١-اسلوب الحوار:

يقال ان (لاهل الاندلس دعابه وحلاوة في محاوراتهم)(٨) وهذا ما وجده البحث في شعر الغزل , فقد يهيء الشاعر محاورا ربما هو المحبوب ليجاذبه القول ممهدا بسؤال ما لياتي هو بالعلة الطريفة في نهاية مقطوعته , ولقد افتتنوا بهذا المسلك ايما افتتان فهم (يعرضون المعنى ويدعون له علة مناسبة باعتبار لطيف ويغلب ان يكون المعنى شائعا معروفا , فلا يقنع الشاعر به حتى يضيف اليه مايحسنه ويجمله , فيزداد رواء وروعة)(٩) يقول الشاعر عبدالكريم بن فضال القيرواني في وصف موقف الوداع :-

- ولما تنادوا للرحيل وقربت   كرام المطاياوالركاب تسير
- جعلت على قلبي يدي مبادرا   فقالوا : محب للعناق يشير
- فقلت من لي بالعناق وانما   تداركت قلبي حين كاد يطير(١٠)

وفي مسالة شغلت خواطر شعراء الاندلس وهي مسالة الاكتهال والشيخوخة نقرا هذا الحوار بين شيخ وشابة :

- قالت وقد نظرت فروعها   شيب على فودي منتشر:
- ماشأن تلك البيض؟ قلت لها   مات الشباب فبيض الشعر(١١)

ومن اجواء العتاب بين المحبين حول مواقف الفتور في العواطف يدفع كثير ابو الربيع الشلبي (ت ٦٤٦) عنه هذه التهمةحين ينقل لنا شكوى الحبيب ويرد عليه قائلا :

- ياحبيبا له كلام خلوب   قلبت في لظى هواه القلوب
- كيف تعزوالى محبك بردا   ومن الحب في حشاه لهيب
- انت شمس وقلت اني ثلج   فلهذا اذا طلعت اذوب(١٢)

كما يتحاور الشاعر مع الطبيعة فابن الزقاق (ن ٥٢٨هـ) يمثل لنا بتخييل لطيف ازهار الشقائق متهمات بجناية وهي سرقة الحمرة من خدود الفاتنات ومن اجل هذا توالي سقوط البرد والمطر عليها سياطا عقوبة على هذا الاعتداء فهي علة طريفة قدمها بمسلك حواري يقول الشاعر :-

- ورياض من الشقائق اضحت   يتهادى بها نسيم الرياح
- زرتها والغمام يجلد منها   زهرات تروق لون الراح
- قلت ماذنبها ؟ فقال مجيبا :   سرقت حمرة الخدود الملاح(١٣)

٢-بالادوات والصيغ : لما كانت العلة هي المسوغ او المسبب لما يريد الشاعر بتحايل لطيف عرضه من افكار وصور فقد وجد في ادوات اللغة المرتكزات التي تعينة على هذا العرض ومنها (اللام وكي ولاجل ولأن ..)

يقول الشاعر (عبادة بن ماء السماء (ت حوالي ٤٢١ هـ)وهو يبحث عن علة لزيارة طيف الحبيبة بانه بسبب الشبه القائم بيت توحشه لداعي الهجران وتوحش الحبيب النافر كالظبي حتى من خياله مستعينا بلام التعليل :

- رشأ توحش من ملاقاة الورى حتى توحش من لقاء خياله
- فلذاك صار خياله لي زائرا اذ كان في الهجران من اشكاله(١٤)
- وفي شاهد يهز مشاعر الحنين والاحساس المشترك بالغربة عن الوطن يصور لنا (الرمادي يوسف بن هارون (ت ٤٠٣هـ) سبب تقبيله لوردة اهديت له في غير موسمها فكأنه وجد في اغترابها غربته مستعينا بلام التعليل في اخر المقطوعة قائلا:-
- ياخدود الحور في اخجالها قد علتها حمرة مكتسبه
- اغتربنا انت من بجانة وانا مغترب من قرطبه
- واجتمعنا عند اخوان صفا بالندى اموالهم منتهبه
- عصبة ان سئلت عن نسبة فالى ارحمها منتسبه
- ان لثمي لك قدامهم ليس فيه فعلة مستغربه
- لاجتماع في اغتراب بيننا قبل المغترب المغتربه(١٥)
- وتمثل (كي) الجزء الاخير ايضا من مقطوعة ابن بكر بن بقي (ت٥٦٣هـ) الغزلية التي اختارها (الشقندي) في رسالته الادبية ليفاضل بها اهل المغرب فالشاعر يصور علة ابعاده المحبوب عنه مع شوقه اليه قائلا :
- عاطيته والليل يسحب ذيله صهباء كالمسك الفتيق لناشق
- فضممته ضم الكمي لسيفه وذؤابتاه حمائل في عاتقي
- حتى اذا مالت به سنة الكرى زحزحته شيئا وكان معا نقي
- باعدته عن اضلع تشتاقه كي لاينام على وساد خافق(١٦)
- وهناك مرتكز اخر استعان به الشعراء لجعله مدخلا لطيفا في عرض العلة وهي صيغ تؤكدنفي التعجب من لدن الاخر, فكان ابتداؤهم الشعر بعبارات من مثل (لاتعجبن) و(لاتعجبوا) (اني لاعجب) لياتي اثرها حسن التعليل يقول (الوراد ابو الحسن العبدري)(ت ٧٦١هـ) في باب النقد الاجتماعي لبعض الظواهر السلبية في المجتمع.
- لاتعجبن من البليد مخولا ومن اللبيب يعد في الفقراء
- الماء اصل الخصب غبر مدافع واخو البلادة طبعه كالماء
- والنار مؤثرة الجدوب وانها لشبيهة بطبائع الفطناء(١٧)
- فالشاعر يتناول المعادلة غير المتكافئة بين العالم والجاهل وكيفية وضعهما في المجتمع , حيث يعيش الاول عيشة الكفاف والفقر , وينعم الثاني بالجاه والرخاء معللا ذلك ساخرا بانه لما كان البليد طبعه شبيه بالماء في برودته وان الفطن شبيه بالنار في توقد ذكائه, فان الاول اقرب للنعيم لان الماء اصل الرزق ، والثاني اقرب للجدب لان النار محرقة مجدبة ، فلا عجب بالتالي من هذا الامر . واما الشاعر ابن المرحل (مالك بن عبد الرحمن ت ٦٩٩هـ) فأنه يتناول المكانه التي ينظر اليها الانسان لغيره ولنفسه وهي التهوين من منزلته والحط من شأنه , في الوقت الذي يعلي فيه من شأن غيره مبتدئاً بقوله (لا تعجبوا)واضعا علة ذهنيه تقريبية ، بأن العين لا تبصر بؤبؤها مع انه اقرب موضع اليها ، في حين تتسع رؤيتها الى الابعد
- لاتعجبوا للمرء يجهل قدره ابدا ويعرف غيره فيصبر
- فالعين تبصر غيرها مع بعده لكن بؤبؤ نفسها لا تبصر(١٨)
- وفي شاهد ينحو نحو السخريه أيضا واظهار العجب من غير تصريح لفظي به في تعليل بخل بعض الممدوحين يرسم لنا الشاعر مؤمن بن سعيد ن ٢٦٧ هـ علة طريفة له بقوله :
- الا رب من انشدته فيه مدحتي واطرق حتى قلت قد مات او بدا
- تناوم عن مدحتي كأني سقيته بمدحتي اذا انشدته المدح مرقدا(١٩)
- وفضلا عن ادوات التعليل واسلوب التعجب نجد صيغ الاستفهام المجازي فاعلا ايضا ، لسبب منطقي هو ان العله تكون غالبا اجابة عن مستفهم منكر او متحير من امر ما ، من مثل قولهم فيما تقدم من شواهد

(ماشأن تلك البيض ؟) (كيف تعزو الى محبك ؟) (ما ذنبها ؟) . ومنه الاستفهام الانكاري في قول ابن حمديس (ت٥٢٧هـ)

- لكل محب نظرة تبعث الهوا ولي نظرة نحو القتول هي القتل
ألترتد بالتكريه رسل نواظري ومن شيم الانصاف ان تكرم الرسل (٢٠)

فقد تساءل عاتبا ومنكرا ، ثم علل التساؤل بتقريب طريف بين النظره والرسول المرسل من وجوب إكرام الاثنين .

وقد لاتأتي الاجابه اثر سؤال صريح وأداة ، بل قد تكون الاجابه ضمنيه عن مستغرب مقدر.

٣- بالتخييل (تشبيها واستعاره وتضادا)

لما كان هذا الشعر وليد جو مترف فقد حمل طابعه واجواءه فيما أجراه من معادلات تشبيهية ومناظرات تقريبية ، تلجأ لمجالس الانس من طبيعة وخمر وغزل فمنه ما جاء في قول (الرمادي) معللا رضاه عن الليالي بعد ان كان ساخطا عليها بسبب لون السواد الذي حاكى سواد شعر محبوبته في قوله :

وكنت عن الليالي غير راضٍ بحال اذ جنت تغيير حالي
فلما ان رأيت الليل شبها للمته رضيت عن الليالي(٢١)

ومن التشبيه التمثيلي الذي يقرب العله الى الاذهان في شعر الاخوانيات ما نقله لنا ابو جعفر اللمائي (ت ٤٦٥ هـ) من مشهد عيادة احد اصحابه له في مرضه ومحاولته التخفيف عنه بالترويح بمروحة فيرجوه التوقف معللا ذلك بصوره تشبيهية حركيه قائلاً في حواره له :

روحني عائدي فقلت له : مه ، لاتزدني على الذي اجد
اما ترى النار وهي خامده عند هبوب الرياح تتقد(٢٢)

وفي هذا الجانب ايضا نقرأ في بطاقة دعوة لمجلس اخواني في ليله أنس ضبابيه يبعثها(ابن الزقاق) الى رفيق له يحثه على الحضور ويصور له بتعليل تخيلي ان الضباب اشبه بنقاب ما ان يستجيب ويحضر حتى يتبدد باشراقته عليهم :-

الا بادر فما من ثان سوى ما عهدت الكأس والبدر التمام
ولا تكسل برؤيته ضبابا تغص به الحديقه والمدام
فأن الروض متلثم الى ان توافيه فينحط اللثام(٢٣)

وبمثل هذا التعليل الطريف المكثف يتوخى الشاعر سرعة الاستجابه والتأثير في المخاطب . وقد يقرب المعنى بتشبيه محسوس واقع (فابن المرحل) يحاول تعليل هوى النفس وميلها على الرغم من مجاهدة المرء لها بقوله :

لا بد من ميل الى جهة فلا تنكرواعلى الرجل الكريم مميلا
ان الفؤاد وان توسط في الحشا ليميل في جهة الشمال قليلا (٢٤)

وتقرب العله بالصوره الاستعاريه وهي وسيلة ومظهر فني قديم ، لذا فهي الاكثر فاعلية بقيامها على التقريب للهيأة والحركة واللون , فبنشاط , المخيلة يستجلب الشاعر علاقات الشبه غير الممكنة لتحقيق التاثير في المقابل (ومثل هذا الانحراف عن المالوف هو الذي يكسب الصور عادة الرونق والجمال(٢٥) يقول ابن زيدون (ت ٤٦٣ هـ) متغزلا ومتشوقا لوطنه :

اني ذكرتك بالزهراء مشتاقا والافق طلق ومرأى الارض قد راقا
وللنسيم اعتلال في اصائله كأنما رق لي فاعتل اشفاقا(٢٦)

معللا رقة النسيم وقت الاصل وهو بعيد عن وطنه بانه قد أشفق عليه لما راى حاله فتجاوب مع احزانه وصار ضعيفا هادئا رخيا في هبوب نسماته , ولئن اقام ابن زيدون علته على الشك والتقريب فان (ابن الخطيب - ت ٧٧٦) زاد المعنى توكيدا في قوله :

ووالله مااعتل الاصيل وانما تعلم من شجوى فبان اعتلاله(٢٧)

ومنه ما جاء في رسم ابن حمديس لنهر ترتطم امواجه بحصى الشطآن فتحدث صخبا وهديرا شخصه بانسان موجع وجعل علة هذا الهدير شكواه وانينه من الاذى :

جريح باطراف الحصى كلما جرى عليه شكا اوجاعه بخريره(٢٨)

وبمدخل تعليلي يسوغ (الاصم المرواني – العصر الموحدي) نزوله بفندق متواضع لايليق بمنزلته مستعينا بالاقتباس الاشاري من ايتين كريمتين لتقوية العلة فجاء النص ملتحما وصار الاقتباس كانه جزء منه في قوله :

ياهذه لاتفنديني ان صرت في منزل هجين
فليس قبح المحل مما يقدح في منصبي وديني
فالشمس علوية ولكن تغرب في حمأة وطين(٢٩)

مقتبسا من قوله تعالى(حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئه) (الكهف : ٨٦) وقوله تعالى (قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون) (الحجر : ٣٣) كما يستعين الشاعر ابو العباس القيجاطي بالماثور الديني في تعزيز حجته وعلة كونه غير معروف مع نباهته بتشبيه ضمني في قوله :

- ليس الخمول بعار على امرىء ذي جلال
- فليلة القدرتخفى وتلك خيرالليالي(٣٠)

مشيرا للاية الكريمة (.. ليلة القدر خير من الف شهر)(القدر٣) .

وقد رافق (الطباق) حسن التعليل , وهو فن تجميلي ومحسن بديعي اخر, فبالاضداد تعرف الاشياء وتستبين العلل , مما اغنى الصورة الشعرية بتوزعه على جانبي البيت الشعري ومنه فيما تقدم من شواهد اجتماع البرد واللهب والتكريه والتكريم والخمود والاتقاد . ومن تضاد الالوان نقرا مقطوعة للحجام ابن رباح (عصر المرابطين)فيها طرافة التناول وغرابة التعليل فهو لاعجابه بسمرة من يصفها يربط هذه السمرة بجانب نفسي هو الشغف , فحين حلت بمثواها ابصار المعجبين اخذت لون حدقات عيونهم السوداء يقول الشاعر :

يالعبة بذوي الالباب لاعبة في اصل حسنك معنى غيرمتفق
خلقت بيضاء كالكافور ناصعة فصرت سوداء من مثواك في الحدق(٣١)

ومن تضاد المواقع تطالعنا مقطوعة لابن خفاجه (ت ٥٣٣ هـ) يعلل فيها ماصنعته (جوهرة) جارية المعتمد عندما خاطبته اثناء حصاره حصن (لييط Aledo) وقد اثبتت اسمها تحت الختم احتراسا , والمعهود ان يكون فوقه , وجاء التعليل بادراك علاقة تناسب بين اسم الجارية (جوهرة) ومايفعله الصاغة من ختم الجواهر .

يقول الشاعر على لسانها :

- قالت وقد حطت العنوان جوهرة عن مرتقى مرتبة قدسهاالاول
- لاغرو ان صرت تحت الختم واقعة ان الجواهر تحت الختم تحتمل(٣٢)

المبحث الثاني

فاعليته واثره

جاء في تحديد (حازم القرطاجني ت٦٨٤هـ) للشعر بأنه (كلام مخيّل موزون مختص في لسان العرب بزيادة التقفية الى ذلك بالتئامه من مقدمات مخيّلة صادقة كانت أم كاذبة لا يشترط فيها –بما هي شعر- غير التخييل).[٣٣]

فالشعر بهذا الحد (نشاط تخيّلي) له طبيعته القائمة على مستوى الابداع الذاتي ومستوى التأثير في المقابل، لذا فهو يشترط فيه (الحسنَ) و (الاغراب) في التخييل، ليتحقق هذا التأثير وذلك في قوله: (الشعر كلام موزون مقفّى من شأنه أن يُحبّب الى النفس ماقصد تحبيبه اليها، ويكرّه اليها ماقصد تكريهه، لتحمل بذلك على طلبه، أو الهرب منه بما يتضمّن من حسن تخييلله، ومحاكاة مستقلة بنفسها، أو متصوّرة بحسن هيأة تأليف الكلام، وقوة صدقة، أو قوة شهرته، أو بمجموع ذلك، وكلّ يتأكّد بما يقترن به من إغراب، فإن الاستغراب والتعجب حركة للنفس اذا اقترنت بحركتها الخيالية قوي انفعالها وتأثرها[٣٤] وأما رديء الشعر فهو –بحسب ماتقدم- ماكان قبيح المحاكاة خالياً من هذه الغرابة.

ولجوء الشعراء الى هذا الفن البديعي انما يأتي لتحريك النفوس الى استحسان او استهجان، وذلك على وفق ابداعهم واستعداد المتلقّي الذي يكون موافقاً لما يخيّل اليه، فينفعل به، وذلك باثارة التعجّب والاستطراف

والامتاع، فنحن نستدعي الى مخيّلتنا الصور التي كوّناها حين كانت مدركةً بحواسنا، اما الاشياء المعنوية المجرّدة كالحب والكرة والغضب وغيرها فاننا نتخيّلها بهيئات الاحوال الملازمة لها، فالمعنوي والمجرّد لايمكن ان يتّسم بالحسيّة الاّ بضربٍمن المجاز وبوسيطٍ حسّي.
وفاعلية التخييل تتحقق بمسارين الاول يجري مجرى تخطيط الصور وتشكيلها، والثاني يجري (مجرى النقوش في الصور والتوشية في الاثواب)[٣٥] والتفصيل في العقود والاحجار. وهو يوضّح المسار الاول ويتلوه.
فحسن التعليل اشبه بهذا النقش والتوشية والتفصيل بما يقدمه للمتلقي ويبسطه بأدواته ووسائله الفنية، وتبدو فاعلية التخييل فيه بالاثارة دوماً، لانه نابع من التعجب، ويمثل (حازم) لهذا بمنظر شمعة، فهو في حدّ ذاته جميل بضيائه، على ان انعكاس صورة الشمعة على صفحة الماء يبدو أجمل من الواقع، والسبب هو حدوث مايسميه (الاقتران)[٣٦]، أي اقتران الضوء وصفحة الماء، وهي أقل تكراراً من رؤية الشمعة الماثلة عياناً. أو بمعنى آخر، حدوث الاستطراف والامتاع لدى الناظر بما يجده من تجديد وبعدٍ عن المألوف المعهود ولئن كانت وسائل التخييل لهذا الفن هي التي قرّبت الاشياء حين سعت لترينا ايّاها بمنظار جديد وتخلق فينا وعياً جديداً وخبرة مضافة بالتشبيه والاستعارة والمجاز فأبانت وكشفت وحجمت الحسّي والمعنوي بسلسلة من الاشارات الدالة الموحية، فان فاعليته سترتبط بوظيفته وهي التصوير الغريب المستطرف أي الصورة الامتاعية المنشودة لدى المتلقي ومدى القدرة الابداعية في التوصل اليها. ولقد مال شعراء الاندلسي على اختلاف مناعهم وتوجهاتهم الى هذا الفن البديعي حتى لايكاد يخلو شهر اندلسي منه على امتداد عصوره الادبية مما يجعلنا نبحث عن مدى اثره وفاعليته.
ان الغاية الفنية من هذا المحسن البديعي هي (المبالغة) اولا فالشاعر يترك ماهو معهود من العلل ويبحث عما هو ابلغ واقوى تاثيرا وان جاوز المعقول بغرابته , لما للنفوس من (تحرك شديد للمحاكيات المستغربة).(٣٧) واما الغاية الثانية فهي توخي (الطرافة) في التخييل والتجديد في خلق مناسبة للشبه , من هنا فضل (عبد القاهرالجرجاني) قول الشاعر في فراق الاحبة :

- رحل العزاء برحلتي فكأنني اتبعته الانفاس للتشييع

على قول الاخر :

- واني لاستغشي وما بي نعسه لعل خيالا منك يلقي خياليا(٣٨)

اذ لم يبلغ الثاني – برأيه في القوه مبلغ الاول (في الغرابه والبعد عن العاده) ويفسر ذلك قائلاً: (وذالك انه علل تصعد الانفاس فصوره بهذه العله الغريبه وترك ماهو المعلوم المشهور من السبب والعله فيه وهو التحسر والتأسف ، والمعنى رحل عني العزاء بإرتحالي عنكم .. فكأنه لما كان محل (الصبر) الصدر ، وكانت الانفاس تصعد منه ايضا وصار العزاء وتنفس الصعداء كأنهما نزيلان ورفيقان فلما رحل ذاك فأن حق هذا ان يشيعه قضاء لحق الصحبه)(٣٩) فمن المبالغه في حسن التعليل قول (ادريس بن اليماني العبدري ت ٤٧٠ هـ)

- وما اصفر وجه الشمس الا لانه لوجه الامير الاريحي حسود
- أياديهم فوق العفاة عقود واحلامهم فوق الجناة برود (٤٠)

فقد علل اصفرار شعاع الشمس بعلة بعيده غريبة هي لكونها ترمقه بحسد لمكانته ووجاهته ، وينتقل هذا التعليل الى شعر (مرج الكحل) (ت. ٦٣٤) وذالك في قصيده وصفيه ذائعه الشهرة يحتل منها خاتمتها وذلك في قوله :

- عرج بمنعرج الكثيب الاعفر بين الفرات وبين شط الكوثر
- ولتغتبقها قهوه ذهبيه من راحتي احوى المراشف احور

حيث يقول بحسن تعليل في خاتمتها(٤١)

- ما اصفر وجه الشمس عند غروبها إلا لفرقة حسن ذاك المنظر

ومنها في الغزل ما إختاره (المقري من شعر ابن الخطيب مبديا إعجابه بقوله معلقا انه (غاية في المبالغة وحسن التعليل) يقول الشاعر

- وواللہ ما إعتل الأصيل وإنما تعلم من شجوى فبان اعتلاله(٤٢)

جاء هذا الاعجاب ببيت ابن الخطيب لغرابة التعليل وطرافته لان (الشيء من غير معدنه اغرب , وكلما كان اغرب كان ابعد في الوهم وكلما كان ابعد في الوهم كان اطرف , وكلما كان اطرف كان اعجب وكلما كان اعجب كان ابدع)(٤٣) وتبدو الغرابة في وصف احوال المحبين عند الفراق والشكوى من الهجر كما في مبالغة (محمد بين البين- عصر الطوائف) وهو يصف تواصل بكائه ملتمسا من الطبيعة تخييله قائلا:-

- اذا نسمت ريح الصبا في جنابها ستعرف في انفاسها حر لوعتي
وان وردت ماء الفرات فانها ستنكر في سلسالها طعم عبرتي (٤٤)

في إطار هذه الفكرة ولكن بمسلك جديد آخر يبالغ الشاعر (صالح الشنتمري–عصر الطوائف) في وصف دوام بكائه بأن الورد لايذبل عنده لان سقياه من مدامعه

- ابدى الحبيب تعجبا من طول مكـ ث الورد عندي عندما أهداه
لم يدر أن دوامه في منزلي من اجل أن مدامعي سقياه (٤٥)

وقد نشطت فاعلية هذا الفن في شعر الغزل والاخوانيات حيث مجالس الانس والمبادرات الشعرية فابن شهيد (ت ٤٢٦هـ) حين اراد تشبيه جارية بالكوكب لوضاءتها لم يصرح بهذا الشبه بل ذهب الى علة اخرى مناسبة تجمع بين الاثنين في مقطوعة حوارية من اجواء خمرية :

- افدي اسيماء من نديم ملازم للكؤوس راتب
- قد عجبوا في السهاد منها وهي لعمري من العجائب
- قالوا : تجافى الرقاد عنها فقلت : لا ترقد الكواكب (٤٦)

وأما الطرافة في التخييل فهو مطلب فني سعى اليه الشعراء للتجديد والتوليد بنفث الروح في معان سابقة ومحاولة الابداع في الصور بايجاد علاقات ذهنية / نفسية ولو (ان شاعرا قد جدد في قوله فلانعني اكثر من الطرافة التي نجدها له ولا تتوافر في اشعار الاخرين) (٤٧) هذا ما راه الدكتور سعد اسماعيل شلبي في دراسته ولم يكن يعني به عموم الشعر الاندلسي بل ما تناوله في الجانب البديعي من اشعارهم حسب وبهذا المنحى هتف (ابن خفاجه) متغنيا بجمال وطنه مصورا اياه بجنة فيما حوته من ايات الابداع الربانية ليخرج في البيت التعليلي الى ان اهلها لن يدخلوا النار لان الخالق سبحانه لايخرج متنعما بجنته الى النار

- يا أهل أندلس للہ دركم ماء وظل وأنهار وأشجار
ماجنة الخلد إلا في دياركم وهذي لو كنت خيرت أختار
لاتتقوا بعدها أن تدخلو سقرا فليس تدخل بعد الجنة النار (٤٨)

وفي علة ذهنية /نفسية تربط الحدث بالعرف الاجتماعي يبدو التعاطي مع هذا الفن بتفاعل وحيوية فيما وجده الحلواني من مناسبة بين عادة لبس البياض في الحداد عند اهل الاندلس وظهور الشيب في قوله

- اذا كان البياض لباس حزن باندلس فذاك من الصواب
الم ترني لبست بياض شيبي لأني قد حزنت على الشباب (٤٩)

ويربط (ابن السيد البطليوسي)(ت٥٢١هـ) في العلة الذهبية التي يصورها بين الجانب النفسي والواقع الحياتي في خطابه لابن عمه متعجبا من ندرة التقائهما وهما في وطن واحد قائلا

- إني لأعجب أن يدنو بنا وطن ولا يقضى من اللقيا لنا وطر
لاغرو ان بعدت دار مصاقبة بنا وجد بنا للحضرة السفر
فمحجر العين لا يلقاه ناظرها وقد توسع في الدنيا به النظر (٥٠)

إن هذا الاثر الطريف في عرض العلل بجعلنا نقف على جانب من جوانب الشخصية الاندلسية والاتجاه الفكري بها وهو دماثة الخلق وطرافة التناول للافكارو المعاني بمخيلة تعشق الحياة وتلجا لمظاهر الجمال فيها فتحاول خلق الاسباب لتضيف اليها ما يزيدها حسنا وجمالا ولتزيد حياتهم ترفا على ترف ، ترفا فكريا وروحيا على ترف مادي (٥١)لذا جاءت لغته سهلة واضحة قريبة من النفوس بل ومن الحياة اليومية احيانا ولم نجد في اساليبه تراكيب متكلفة بل هو الوضوح والبساطة وهي خصائص تمثل معظم ما رصده البحث من شواهد انضوت في معظمها تحت هيكلة بناء المقطعات.

الحواشي والتعليقات

١- اسرار البلاغة: ٢٣٨
٢- التلخيص في علوم البلاغة : ٣٧٥
٣- ديوان المتنبي : ١٥٥/١
٤- نفح الطيب: ١٥١/١
٥- المصدر نفسه : ٤٤٠/٣
٦- دراسات ادبية: ٨٠
٧- منهاج البلغاء : ٩٠
٨- نفح الطيب ٣٨١/٣
٩- دراسات ادبية : ٨٠
١٠- الذخيرة : ٢٨٥/٧
١١- المصدر نفسه : ٩١٣/٢ والشعر لابي العباس احمد بن قاسم
١٢- نفح الطيب : ٥٦٦/٣
١٣- ديوان ابن الزقاق ١٢٥
١٤- الذخيرة ٤٧٤/١
١٥- شعر الرمادي : ٥٣
١٦- نفح الطيب : ٢٠٩/٣
١٧- الاحاطة : ١٤٦/٤
١٨- المصدر نفسه ٢٤١/٣
١٩- التشبيهات : ٢٥٣
٢٠- ديوان ابن حمد يس : ٥٥٧
٢١- التشبيهات : ١٢٤
٢٢- الذخيرة : ٦٢١/٢
٢٣- الاحاطة: ٢٠٣/٣
٢٤- المصدر نفسه ٢٤١/٣
٢٥- الشعر الاندلسي في القرن التاسع الهجري ٣٤٥٠
٢٦- ديوان ابن زيدون : ١٤٩
٢٧- نفح الطيب ٤٩٤/٦
٢٨- ديوان ابن حمد يس : ١٨٦
٢٩- نفح الطيب : ٥٩٣/٣
٣٠- المصدر نفسه ٢١/٤ ولم اقف على سنة وفاته
٣١- الذخيرة ١٤٨/١
٣٢- ديوان ابن خفاجة ٢٧٩
٣٣- منهاج البغاء: ٨٩
٣٤- م.ن: ٧١
٣٥- م.ن: ٩٣
٣٦- ينظر المصدر نفسه: ١٢٧
٣٧- منهاج البلغاء : ٩٦
٣٨- اسرار البلاغة : ٢٤٠
٣٩- المصدر نفسه : الصفحة نفسها
٤٠- الذخيرة : ٣٥٩/٥
٤١- مرج الكحل الاندلسي : ١٢٠
٤٢- نفح الطيب : ٤٩٤/٦
٤٣- البيان والتبين : ٨٩/١ والقول لسهل بن هارون
٤٤- الذخيرة ٨٠١/٤:

٤٥- المصدر نفسه : ٥٨٣/١
٤٦- المصدر نفسه ٣٠٤/١
٤٧- دراسات ادبية : ٨٦
٤٨- ديوان ابن خفاجه : ٣٦٤
٤٩- الذخيرة: ٩١٤/٢
٥٠- نفح الطيب ٤٧١/٣
٥١- الادب الاندلسي في عصر الموحدين : ١٧٣

مصادر البحث ومراجعه

- القران الكريم
١- الاحاطة في اخبار غرناطة ، لسان الدين بن الخطيب ، محمد بن عبدالله، شرح وضبط د. يوسف على طويل ، ط . دار الكتب العلمية (بيروت ٢٠٠٣)
٢- الادب الاندلسي في عصر الموحدين ، د. حكمت علي الاوسي ، ط القاهرة ١٩٧٦.
٣- اسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق احمد مصطفى المراغي ط الاستقامة القاهرة ١٩٤٨.
٤- البيان والتبيين ، الجاحظ ، عمرو بن بحر تحقيق عبد السلام محمد هارون ط مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٨٥.
٥- التشبيهات من اشعار اهل الاندلس ، محمد بن الكتاني ، تحقيق د. أحسان عباس ز ط دار الثقافة بيروت ١٩٦٦
٦- التلخيص في علوم البلاغة ، القزويني ، شرح عبد الرحمن برقوقي ط ١٩٣٢.
٧- دراسات أدبية في الشعر الأندلسي، د. سعد إسماعيل شلبي ط الفجالة ، (القاهرة ١٩٧٣).
٨- ديوان ابن حمديس ، تحقيق د. إحسان عباس ط. دار صادر بيروت ١٩٦٠
٩- ديوان ابن خفاجه ، تحقيق السيد مصطفى غازي ، ط بيروت ١٩٦٥.
١٠- ديوان ابن الزقاق، تحقيق د. عفيفة محمود ديراني ، طبيروت ١٩٤٥
١١- ديوان ابن زيدون ، تحقيق على عبدالعظيم ط القاهرة ١٩٥٧
١٢- ديوان المتنبي ، شرح عبد الرحمن برقوقي ط ١٩٣٨
١٣- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، إبن بسام الشنتريني ، تحقيق د. أحسان عباس ط دار الثقافة بيروت ١٩٧٩
١٤- الشعر الاندلسي في القرن التاسع الهجري ، د. قاسم الحسيني ، ط الدار العلمية للكتاب ، المغرب والدار العالمية للطباعة والنشر بيروت
١٥- شعر الرمادي يوسف بن هارون ، جمع وتقديم ماهر زهير جرار ، ط المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٨٠
١٦- مرج الكحل الاندلسي (سيرته شعره) د.صلاح جرار ط ، دار النشر الاردن ١٩٩٣
١٧- منهاج البلغاء وسراج الادباء ، حازم القرطاجني ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ط تونس ١٩٦٦
١٨- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، المقري التلمساني ، تحقيق د. إحسان عباس ، ط دار صادر بيروت ١٩٦٨.

The Novelty of Imagination in good Reasoning in Andalusian Poetry
Analytical study

Ph. D. Hamida Al- Baldawi
Arabic Language Depart. - College of Education for Women

Abstract

Of good reasoning (the art of unique moral turn him poets of Andalusia in poetry verse emitter myself, and to achieve a very technical. Either the emitter is related to the nature of the environment and the composition of personal Andalusia of appetite for life and interaction with the legibility beautiful, and it was (wit) feature in them even said they are charming as Bagdad ions , and either art, it made them this color to show their ability intellectual in the search for bugs, and stimulate their imaginations in a contract equations in the interpretation and find justifications for the ideas and meanings Exaggeratedly times, and especially in the purpose of praise, and novelty in many cases, as in the spinning and AlEkhwaniat, in the language of affordable and methods Miscellaneous: The question of emphasis and dialogue, has been hired to the achievement of poetic analogy is representative and diagnostic metaphor, and antagonism which are distributed either on both sides of the House poetry alluded to the human side, including the conflict between reality and the practitioner.

As if this art was expressed mostly by the desire of decorated lattice, and intellectual luxury commensurate with the ornament of life Andalusia, and was probably an outlet in some cases is the ambition to his society, as in both cases was intended to give the forum, surprising and extraversion and pleasure including devised sense of the strange or adorable fiction.